باب التربية والتعليم

تقرير مشيخة علماء الاسكندرية سنة ١٣٢٢ الدراسية

﴿ تمهيد ﴾ جاء في كتاب « أعمال مجلس ادارة الازهر » مانصه : في ٢٩ المحرم سنة ١٣٢١ و ٢٧ ابريل سنة ٩٠٣ صدرت الارادة السنية بإلحاق التدريس والامتحان في ثغر الاسكندرية بالجامع الأزهر ومضمون الارادة « ان الجناب العالي وافق ارادته العليـة أن تكون الاسكندرية ملحقة بالازهر في التدريس والعلوم والامتحان وان مجلس ادارته يضع لها القوانين والنظامات ويرتب درجات العلماء الموجودين فيها وقت صدور هذه الإرادة ويحصر الاماكن التي تدرس فيها العلوم هنالك وان يكون ترتيب درجات علمائها بحضور ثلاثة من مشهوريهم الاقدمين »

ثم ذكر بعد هـذا ان شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية (يعني الاستاذ الامام رحمه الله) سافرا الى الاسكندرية للابتداء بتنفيذ هذا الامر الذي كان من رغائب الثاني وأثر سعيه فرتبا درجات العلماء وأحصيا عددهم واختارا الشيخ محمود باشا شيخاً لعلماء الاسكندرية وبعد ان عادا اشتغلا مع مجلس ادارة الازهر بوضع قانون لسير التدريس والامتحان في الاسكندرية فوضع . ثم ان الشيخ محمود باشا أبى أن يكون شيخاً لعلماء الاسكندرية تابعاً للازهر فوقف العمل واتفق أن جاء الشيخ محمد شاكر قاضي قضاة السودان في ذلك العهد الى مصر بالاجازة فأراده أحد أعضاء المجلس (يعني الاستاذ الامام) على أن يكون شيخاً لعلماء الاسكندرية فصادف منه ارتياحاً « فأشار عليه أن يعمل ليصل الى هذه الغاية فقام بالأمر خير قيام ومهد لذلك باسترضاء الجهتين جهة السودان لتوافق على نقله وجهة مصر لترضى بتعيينه شيخاً لعلماء الاسكندرية وكلل سعيه فيهما بالنجاح فقرر مجلس الادارة في ١٦ ابريل سنة ١٩٠٤ انتخابه لهذه الوظيفة الجليلة وأن يكتب الى نظارة الداخلية لتستصدر الأمر العالي بذلك فكان ماطلبه المجلس وصدر الامر العالي بتعيينه شيخاً لعلماء الاسكندرية في ١٠ صفر سنة ١٣٢٢ و ٢٦ ابريل ١٩٠٤ وانحل

ذلك المشكل العظيم» اه ما أردت نقله من كتاب أعمال الازهر

وأقول ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كان يتوسم في الشيخ محمد شاكر الهمة والنشاط في العمل ويعرف فيه حب النظام فلذلك اختاره قاضياً للسودان أولا ثم شيخاً لعلماء الاسكندرية آخراً وهو الذي أقنع الحكومة السودانية بأن ترضى بنقله وأقنع مجلس ادارة الازهر بطلب تعيينه وتسهيل السبيل له وانظر ما جاء عن مبادئ عمله فى كتاب (أعمال مجلس الازهر) قال مؤلفه

« قام شيخ علماء الاسكندرية الجديد بعمله أحسن قيام لما فيه من الفطنة وشدة الذكاء ولعلمه بما يجب لهذا الزمان الحاضر وعضده مجلس الادارة الازهرية وشيخ الازهر أكبر التعضيد وسهل له الطريق في استعمال فكرته ولم يقيده بنظام سوى نظام الازهر نفسه ونسخ له صور القوانين والقرارات التي يجري عليها العمل المستمر وقرر له كل ما طلبه فى سير الاعمال وضبط نظامها وتكليف العمال بما يطلبه منهم فأمضى بقية سنته في ترتيب وتنظيم وفي تعويد العلماء على العمل وضبط المواعيد والمواظبة على إلقاء الدروس واستصدر أخيراً من مجلس الادارة قراراً بحصر المساجد التي يكون فيها التدريس في ثمانية مساجد» الخ

ثم ذكر أنه في آخر السنة الدراسية قدم تقريرا الى مشيخة الجامع الأزهر فصل فيه أعماله في تلك المدة وما يريده في السنة الجديدة. ونقول قدمت هذه السنة ووضع لها تقريراً رفعه «للاعتاب الخديوية» لا لمشيخة الأزهر وهو موضوع ما نكتب هنا بعد هذا التمهيد فنبدي رأينا في مسائله التي فيها مجال للرأي ثم في عبارته

﴿ مبحث التعليم الديني — رأيه ورأينا ﴾

في مقدمة التقرير كلام في فائدة عرض الأعمال على أصحاب الافكار والآراء قال بعده «وهذه خلاصة الاعمال في مشيخة العلماء بمدينة الاسكندرية وأن المشيخة ليسرها أن ترى ذلك اليوم الذي يتناول فيه كبار الكتاب أقلامهم لإفاضة البحث فى ترقية التعليم الديني واعلاء شأن معاهد العلوم الدينية استنهاضاً للهمم وترغيباً في تربية الشبيبة المصرية من كل الطبقات التي تتكون منها الامة تربية اسلامية مؤسسة على اتباع شريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى العمل

بما جاء به من عند ربه بحيث تكون دعائم التعليم لكل بناء المسلمين هي تلك الدعائم التي بني عليها الاسلام وهي الاقرار لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام حتى لانرى في الشبيبة المصرية (وهم رجال الغد) من يجترئ على ترك فريضة أوسنة أو يستطيع الصبر على مسلم يتركها وهو على فعلها قدير والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم»

﴿المنار﴾ قد أحسن الاستاذ في عرض تقريره على محك النقد بما كتبه في هذه المقدمة و بما كتب به الينا والى غيرنا من أصحاب الصحف . واننا نبدأ بابداء رأينا في هذه الجملة فنقول انه يعني بالشبيبة — وهي مصدر — الشبان بل من دونهم من المميزين المرشحين وما ذكره بشأن تربيتهم تربية اسلامية غير كاف على مافي العبارة من الاطناب الذي أفضى الى التكرار ايضاحاً للواضح في قوله «على اتباع شريعة المصطفى (ص) وعلى العمل بما جاء به» وقوله بعد هذا «بحيث تكون دعائم التعليم» الخ لا يصلح تصويراً وبياناً للاتباع والعمل فان التعليم غير التربية العملية ثم ان الذي يجب أن يتعلمه كل مسلم من الاسلام ليس هو الاقرار لله بالوحدانية الخ ماذكره لأن كل مسلم يقر هذا الاقرار و يسهل عليه أن يتعلم كيفية اقامة الصلاة في مجلس واحد وكذلك أحكام الصوم ولا يجب على مسلم تعلم أحكام الزكاة والحج الا اذا كانا مفروضين عليه لغناه . ثم ان تعليم هذا الاقرار وهذه الاعمال لا يترتب عليه ماذكره غاية له بقوله «حتى لا نرى في الشبيبة المصرية من يجترئ على ترك سنة أو فريضة» الخ فان الأستاذ الكاتب يعلم كما نعلم ان عدد المسلمين الذين تعلموا هذه الأمور وعملوا بها لا يتناوله الاحصاء ولا يكاد يوجد فيهم من لا يجترئ ولا يصبر على ما ذكر .

ان الاحاديث التي اكتفت في اجراء أحكام الاسلام على المرء بالشهادتين والعمل بالاركان الاربعة الاخرى انما هي في شأن الكافرين الذين يدخلون في الاسلام فهذه هي الامور الظاهرة التي يعدون بها مسلمين وقد كان ممن قام بالأركان الخمسة في الظاهر المنافقون الذين نزل فيهم من الآيات مانزل وقال فيهم النبي

صلى الله عليه وسلم ماقال، والمبتدئون من جملة الأعراب الذين سلموا بظاهر الدين ولم يفهموا عقائده بالبرهان المفيد اليقين الا بعد حين وفيهم نزل (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) الآية

الغاية التي ذكرها انما ترجى للكملة من الذين تربوا على الاصول الثلاثة في حديث جبريل المتفق عليه من رواية عمر وأبي هريرة وهي الاسلام المفسر بالاركان الخمسة التي ذكرها صاحب التقرير وهي عبارة عن القسم العملي من عبادات الدين والايمان وهو عبارة عن القسم الاعتقادي منه والاحسان وهو الادب الكامل الذي هو أثر الاعتقاد الصحيح والعبادة القويمة والتهذيب المعتدل. ونعني بتربيتهم على هذه الاصول الثلاثة تعويدهم العمل بالعملي منها من أول النشأة بحسن القدوة لا بمجرد الطلب باللسان وتلقينهم العلمي منها بالدلائل التي يخضع لها العقل ويطمئن بها القلب

وجملة القول ان عبارة التقرير في هذا المقام مضطربة وغير مبينة لما يجب من التربية الاسلامية والتعليم الاسلامي ولا للضروري منه وهو (١) العقائد الدينية على طريقة القرآن مع كشف الشبهات التي فشت في هذا العصر بين المسلمين من غير خلط بفلسفة اليونان وشبهات المبتدعة الذين انقرضوا ودرست مذاهبهم. و(٢) الآداب الدينية مع بيان فوائدها للمتأدب بها في نفسه وفيمن يعيش معهم بحيث يقتنع بعلمها أن فيها سعادة الدنيا قبل الآخرة ويتضح له ذلك بالتأدب بها فعلا. و(٣) الأحكام العملية مع بيان أسرارها وفوائدها في نفس العامل وفي صلته بالناس الذين يعيش معهم على ما بينا آنفا. هذا ما يذكر في دعائم التعليم الديني بالاجمال ونحث الكتاب على الترغيب في إقامة هذه الدعائم بتعليمها لأولاد المسلمين وتنشئتهم على العمل بها في البيوت وفي المدارس حتى يصير العلم بها مؤيداً بالوجدان. وانا نعلم ان كاتب التقرير يقر هذا في نفسه وان لم تتناوله عبارته وله أن يقول ان سيرته التي سيشرحها تتفق معه في الجملة وان كان اللاحق لا يدفع الايراد السابق. ونحن لا نرتاب في حسن قصده، وما قلناه بيان جاء في وقته،

﴿التعليم الاسلامي في الاغنياء والاعلياء﴾

ثم قال الاستاذ صاحب التقرير بعد ما تقدم: «ومما يجب أن يتنبه له عقلاء

الاسلام وعظماء الامة أن التعليم الديني قد كاد يكون منحصرا في طبقات الفقراء وبعض الطبقات الوسطى من الامـــة الإسلامية دون الطبقات العليا منها وذلك خطر غير قليل على الجامعة الاسلامية بمرور الدهور والاعوام اذا قدر أن ينتهي الأمر بانحصار التعليم الديني في تلك الطبقات فتكون الرئاسة الدينية منحصرة فيهم لا يتولاها سواهم من الطبقات الاخرى وبالتالي تكون كل الوظائف الدينية في أيدي أولئك الاقوام ومن خصائصهم وبعبارة أصرح تكون الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية، والقوة المالية بعيدة عن المزايا الدينية وبين أيدينا من نتائج هذا التفريق في القوى الفعالة وهذا التدلي في التربية الدينية ما يصلح عبرة لكرام القوم وخاصة المسلمين وعقلاء الامة

« فلينظر العقلاء وسادات الاسلام الى موقفهم هذا فلعلهم اذا فكروا فيه كثيرا يترجح عندهم ان يتربى أبناؤهم تربية دينية اسلاميـــة محضة تحت كفالة خيرة العلماء العاملين المرشدين حتى اذا تخرجوا على هذا المبدإ القويم كانوا أقدر على خدمة دينهم وأمتهم الخدمة التي ترجى من أمثالهم مع الترفع عن الدناءة وعن السقوط في مهاوي الخسران واذا شاء عظماء الأمة أن يتربى أبناؤهم هذه التربية فانهم يساعدون على ترقية التعليم الديني ويجعلون له المكانة العليا في أفئدة الناس أجمع وما ذلك على الله بعزيز نسأله الهداية والتوفيق لأقوم طريق » اهـ

(المنار) هذه ثمة مقدمة التقرير وجملة ما يقال فيها انها من الخواطر الحميدة التي تسنح للاذكياء وغرض الكاتب منها فيما يظهر دعوة أغنياء المسلمين في هذه البلاد الى نظم أولادهم في سلك طلبة العلم الديني في الاسكندرية والعناية بالإسعاد على هذا التعليم . وما من مسلم متفكر الا وهو يتمنى أن يقبل الاغنياء مع الفقراء على تلقي العلوم الدينية والتأدب بأدب الاسلام وانها لأمنية لا تنال بالتعبير عنها في تقرير ولا بالدعوة اليها والترغيب فيها بالكلام المبهم . بل بترقية المدارس الدينية ترقية تجذب الغني اليها باعتقاد أن فيها سعادته في الدنيا قبل الآخرة بجمعها بين علومها مع الاقتصاد في الوقت على ما سنبينه بالايجاز الذي تقتضيه الحال

لا يقدم الناس على شيء الا اذا علموا علم إذعان بأنه خير لهم وأكفل لمصالحهم

ودعوة الأغنياء الى التعليم الديني لم تبن على بيان يودع نفوسهم من العلم بذلك ما يحملهم على اجابة الدعوة فان عبارة التقرير لم تذكر من المرغبات في الدعوة الا توقي الخطر على الجامعة الاسلامية الذي جعله مشروطاً بانحصار التعليم فى غير الاغنياء وفرع من هذا الاصل انحصار الرياسة الدينية في غيرهم وجعل الوظائف الدينية تالية للرياسة في هذا ثم فسر ذلك بعبارة أصرح في مقصده وهي جعل الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية والقوة المالية بعيدة عن المزايا الدينية . فكأن هذا التجرد هو الخطر فاتقاؤه هو المرغب الوحيد للاغنياء في اجابة الدعوة وهو يتوقف على الاقناع بصحته وصحة كونه محل الخطر على الجامعة الاسلامية وصحة كون معاهد العلم الديني فى الاسكندرية تجمع للمتعلمين بين القدرة على النهوض بالاعمال المالية مع الفضائل والمزايا الدينية ليجمعوا بين القوتين وكون ذلك يمنع الخطر . على ان هذا كله غير واضح فى كلامه ولنا أن نجعل كل كلمة من تلك الكلمات التي يفسر بعضها بعضاً في كلامه مرغباً مستقلا ونوسع الدائرة بالاستنباط ثم نرى أيكفي ذلك لاجابة الدعوة

أيحسب الذين اعتادوا الارتياح الى أمثال هذا الاقتراح في الجرائد أن من الجواذب اليه والمرغبات فيه ماذكره الاستاذ من الخطر على الجامعة الاسلامية ، والترغيب في الرئاسة الدينية ، والوظائف الدينية ، وتجريد المزايا الدينية من القوة المالية ، وكفالة خيرة العلماء العاملين المرشدين ، لطلاب هذه التربية مع التعليم ؟ أين توجد التربية الاسلامية والتعليم الديني الجامعان لكلمة المسلمين الموثقان لروابطهم ؟ أين أولئك العلماء الذين أشار اليهم وماهي آثارهم في وقاية الامة من الخطر ، ماهي الرياسة الدينية التي لاينالها الا من تعلم العلوم الدينية وتربى في حجرها ، ثم ماهي الوظائف الدينية التي يرفع الاغنياء أبصارهم اليها ، أليست هذه الكلمات من قبيل مايطفو فوق أنهار الجرائد كل يوم كفقاقيع الماء ، ثم يتلاشى في الهواء ، بلى انها من هذا القبيل ولا تنس انا حمدنا السانحة في نفسها وجزمنا بأن كل مسلم عاقل يتمناها ، وكيف السبيل الى نيل الامانى!

فيا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

ليس في الاسلام رياسة دينية حقيقية كالرياسة في الاديان الاخر فان

كل مسلم مكلف فهم دينه من كتابه وسنة نبيه ان استطاع فان لم يستطع ذلك بنفسه استعان بأي مسلم يرى انه يعرف حكم الله الذي يطلبه لا تنحصر افادة الدين في رؤساء معينين . وقد مضى الاصطلاح بأن يدعى سلطان المسلمين رئيساً دينياً وان قال الصحابة في أبي بكر عليه الرضوان: رضيه رسول الله صلى الله عليه لديننا — أي في امامة الصلاة — أفلا نرضاه لدنيانا: فجعلوها دنيوية وهل يطمع غني أو فقير بهذه الرياسة الشرعية أو الدينية، مهما بلغ في التربية والعلوم الاسلامية ؟! وأما الوظائف الدينية الحقيقية المحضة كامامة الصلاة والاذان فلا يرغب فيها الاغنياء بل لا يرضونها لانفسهم على أنها لا تزال مبذولة للجاهلين . وهناك وظائف شرعية كالقضاء والافتاء وليست مما يرغب فيه الاغنياء هنا لما هو معروف للكاتب والقارئين

لا خطر على الجامعة الاسلامية في انحصار الوظائف الدينية في أهل الفضائل والمزايا الدينية من الفقراء والأوساط ومن يتحلون بهذه الفضائل والمزايا لا يعجزهم أن يطلبوا الغنى فينالوه وأن يقنعوا الأغنياء ببذل شيء من فضول أموالهم في سبيل الله لاقامة المصالح العامة . ثم إن تحلي الأغنياء بالفضائل والمزايا الدينية ليس مما يتوقف على هذا التعليم الذي يدعوهم اليه الاستاذ في تقريره . فجملة القول أن عبارة التقرير في هذه المسألة مبهمة مضطربة كعبارته التي قبلها

اذا قلنا ان المسلمين أو الجامعة الاسلامية على خطر فانما نعيد قولا تكرر منا في المنار كثيراً . ونعيده الآن لنقول ان التعليم الديني في مصر ليس له أثر ما في حفظ ما يسمونه الجامعة الاسلامية بل ربما كان له الاثر في اضاعتها لأنه لا يدفع الشبهات الطارئة في هذا العصر على الدين ولا يبين انطباق أحكامه على مصالح البشر ومنافعهم الشخصية والاجتماعية ولا يخرج رجالا يصلحون حجة على أهل التعليم الدنيوي باستقامتهم وفضائلهم وقدرتهم على النهوض بالأعمال العظيمة عامة كانت أو خاصة حتى اذا أردنا أن نقول : ان أثر التعليم الديني في أهله هو أفضل من أثر التعليم الدنيوي بأهله أو مساو له في شؤون الدنيا ويفضله في الآخرة قلنا ذلك بقوة تخترق الآذان ، وتصيب من النفوس مواقع الوجدان ، بل كثيراً ما يأتي هذا التعليم بضد ذلك حتى صارت جميع الطبقات التي يصفونها بالعليا

تتفكه بانتقاد أهله والخوض فيهم

زار القاهرة في هذه الايام أستاذ من أساتذة المدارس الاسلامية في روسيا وكان جل همه البحث عن طرق التعليم الديني وغير الديني فساءه ما رأى في الازهر من الفوضى وفساد طريقة التعليم وزرت معه بعض العظماء فكانوا اذا ذكر الازهر وأهله يقولون انه لاخير في هذا المكان يرجوه الاسلام وان أهله «كالخشب المسندة» وألقاب أشنع لأحب ذكرها . والتعليم في الاسكندرية قد أوشك يفضل التعليم في الازهر بالنظام والمراقبة والامتحان والمكافأة التي طالب المصلح بها أهل الازهر وحتمها عليهم بالقانون منذ عشر سنين أو أكثر فنفروا منها نفارا، وأصر كبراؤهم على رفضها اصراراً ،ووجدوا لهم من السياسة أنصارا:

انه ليسرنا أن ينفذ في الاسكندرية شيء من الاصلاح الصوري مع توجيه الهمة الى شيء من الاصلاح المعنوي وأن يصدق ظن شيخنا الاستاذ الامام في الشيخ محمد شاكر ونراه موفقاً الى السداد في تنظيم معاهد العلم في تلك المدينة ولكننا نقول ان هذا كله لا يكفي في الاصلاح المطلوب الذي يرجى لوقاية الاسلام ولا مسلمي مصر من الخطر ولا لجذب أولاد الأغنياء الى هذا التعليم اذ الأغنياء أحرص الناس على الزمن أن يضيع منه خمس عشرة سنة أو عشر سنين في معالجة كتب محدودة في الفنون العربية والفقه الذي صار أكثره غير معمول به والكلام الذي معظمه نظريات في مذاهب انقرضت وهم يرون أنه يقل في معالجي هذه الكتب من ينجح في فهمها وأن الذين يفهمونها قلما يوجد فيهم من يفيد الأمة فائدة لها شأن في ترقيتها أو الدفاع عن دينها وحقيقتها بل قلما يوجد فيهم من تصح عبارته العربية وكيف يفهم الدين من لا يتقن لغته اتقاناً

ان توحيد التعليم والتربية في الأمة باشتراك جميع الطبقات فيهما مما يتوقف عليه تحقق وحدة الأمة وقوتها وهو أمر يتوقف على وجود زعماء من المسلمين يعرفون أسبابه فيأتونه من أبوابه وما أبوابه الا المدارس التي تجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا مع النظام الذي انتهى اليه رقي البشر الاجتماعي والصناعي . وأعني بعلوم الدين علوم القرآن والسنة وما فيهما من الحكم والاسرار الموافقة

لرقي الامم في كل زمان ومكان ثم ما استفاده سلف الامة منها في تفصيل ليس هذا المقال بالذي يتسع له فأكتفي بهذه الكلمة كما أكتفي من بيان فوائد النظام بأن مدة تحصيل العلوم الدينية والدنيوية لا ينبغي أن تزيد فيه عن مدة التحصيل في الازهر لتلك الكتب التي لا غناء فيها وهي خمس عشرة سنة أما العلوم الازهرية فيكفي لتحصيلها في غير كتبهم هذه وعلى غير طريقتهم في التعليم خمس سنين

اذا حسنت حال التعليم في الاسكندرية فان حسنها يكون تمهيداً لما يريد المصلحون من ارتقاء علوم الاسلام فيها وان الشيخ محمد شاكر من الفطنة ما نرجو أن يرتقي به في السلم الذي وضع للازهر من قبل مع الاستعانة بالاذكياء العارفين بنظام التعليم كريدي الاستاذ الامام الذين عرف لهم حقهم وشكر لهم صنيعهم بمساعدته في تقريره الاخير . وما وضع للازهر انما كان موقتا روعي فيه ضعف الاستعداد . وكان في عزم المصلح الاول رحمه الله تعالى أن يعد به القوم الى نظام أكمل منه تزاد به العلوم ويجعل فيه فرق تختص باتقان بعضها بعد الالمام بجميعها . وسنبين بعض ذلك عند الكلام على التدريس والعلوم

باب الخبر والانشاء

مسألة مكدونية

﴿ أوربا وتركيا — أو الدين والسياسة ﴾

اشتد ضغط دول أوربا على دولتنا في هذه الايام يعرض عليها أن يكون لهن مراقبون لمالية الولايات المكدونية ويحملنها على اجابتهن الى ما طلبن بالتهديد والوعيد . وما هذه المراقبة التي يطلبن الاجل ادارة تلك البلاد — وهي سياج عاصمة الدولة — أوربية محضة . وقد كنا حين نجم ناجم الثورة في مكدونية من نحو ثلاث سنين لا نخشى الامن روسيا لأنها كانت تستعد للحرب فاذا هي تستعد للياباني التي جعلت استعدادها في البر والبحر هباء منثورا